تفسير سورة الزخرف كاملة

سورة الزخرف

رامي حنفي محمود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ ١

١. الربع الأول من سورة الزخرف

– الآية ١: (حم): سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، واعلم أنّ هذه الحروف تُقرأ هكذا: (حا ميم).

– الآية ٢، والآية ٣، والآية ٤: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (يُقسم اللهُ تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى، والمُوَضِّح للأحكام والحقائق): (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي بلُغة عربية واضحة، في غاية الفصاحة والبلاغة (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ): يعني لَعلّكم تفهمونه أيها العرب، وتتدبرون حُجَجه ومواعظه فتؤمنوا به، (وَإِنَّهُ) أي القرآن (فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) يعني: مكانته في اللوح المحفوظ عندنا (لَعَلِيٌّ) أي ذو عُلُوّ وشرف وشأنٍ عظيم، (حَكِيمٌ) أي مُحكَمٌ (لا اختلافَ فيه ولا تناقض)، وهو أيضاً مشتملٌ على الحِكَم العظيمة.

– الآية ٥: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا): يعني هل نَترك إنزال القرآن إليكم يا كفار قريش، ونُعْرِض عنكم مِن أجْل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ): أي بسبب إعراضكم عنه وإسرافكم في الشِرك والعصيان؟! كلا، لن نفعل ذلك (إذ الغرض من هذا الاستفهام هو الإنكار عليهم).

– الآية ٦، والآية ٧، والآية ٨: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) يعني: ولقد أرسلنا كثيراً من الأنبياء في الأمم التي مضت قبل قومك أيها النبي، (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي كانوا يَسخرونَ منه ومِن دَعْوته (كما فَعَل مُشرِكو قومك بك) (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا): يعني أهلكنا المُكَذِّبين السابقين الذين كانوا أشد قوة من قومك، (وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ): أي مضى في الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين، كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود (إذ أهلكهم الله بسبب تكذيبهم واستهزائهم بأنبيائهم) (وفي هذا تصبير للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضاً تهديدٌ لمُشرِكي مكة أن يصيبهم ما أصاب المُكَذِّبين قبلهم).

---

١ وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي "، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

– من الآية ٩ إلى الآية ١٤: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعني: وإنْ سألتَ أيها الرسول هؤلاء المُشرِكين: (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) على هذا النظام البديع المُتقن؟: (لَيَقُولُنَّ) مُعترفين: (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أي خلقهنّ الله ذو العزة القاهرة، والعِلم المُحيط بخلقه (فقد كانوا يعترفون بأن الله هو الذي خلقهم، وكانوا يعلمون بعض صفاته).

♦ ثم وَضَّحَ لهم سبحانه أنّ اللهَ الذي خلقهم وأنعم عليهم، هو وحده المُستَحِقّ لعبادتهم، قال تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) أي جَعَلها مُيَسَّرةً لكم، لتَسهُل حياتكم عليها، وتنتفعوا بها في الزراعة وغيرها، (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) أي جَعَلَ لكم فيها طُرُقًا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي لتهتدوا بها في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها، (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) أي بمقدارٍ مُعَيّن (بحسب حاجة الخلائق، فهو ليس طوفانًا مُغرِقًا ولا ناقصاً عن الحاجة)، (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا): يعني أحيينا بهذا الماء بلدةً يابسةً لا نباتَ فيها، (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) يعني: وكما أحيا سبحانه هذه الأرض الميتة بإخراج النبات منها، فكذلك تُخرَجون – أيها الناس – من قبوركم أحياءً للحساب والجزاء، (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أي خلق لكم الأصناف كلها (من أنواع الحيوانات والنباتات وغيرها) (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ): أي جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحر، ومن البهائم – كالإبل والخيل والبغال والحمير – ما تركبونه في البر وتحملون عليه أثقالكم، وقد سَخَّر سبحانه ذلك لكم (لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ): يعني لكي تَعلوا على ظهور ما تركبونه وتستقروا عليه (ثُمَّ تَذْكُرُوا) بقلوبكم (نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) (وَتَقُولُوا) بألسنتكم: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) وأقدَرَنا على التحكم فيه (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) يعني: وما كنا لذلك الحيوان المركوب قادرينَ على السيطرة عليه (لولا أن الله سَخَّرَهُ لنا)، (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) أي راجعونَ إليه بعد مماتنا، (وفي هذا بيانٌ أن الله المُنعِم على عباده بمختلف النعم، هو وحده المُستَحِقّ لعبادتهم).

– من الآية ١٥ إلى الآية ١٨: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) يعني: ورغم هذه الأدلة على قدرة الله وإنعامه، فإنّ المُشرِكين قد نسبوا إليه جُزءاً مِن خلقه بقولهم الكاذب: (الملائكة بنات الله)، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) أي جحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، فيَفتري عليه الكذب، ويَنسب إليه ما ليس له، (مُبِينٌ) أي مُظهر لجحوده وكُفره، (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ): يعني أم تزعمون أيها الجاهلون أن ربكم قد اتخذ مِمّا يَخلق بنات – وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم – (وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ) أي: وخصَّكم أنتم بالبنين فجعلهم لكم؟! (وفي هذا توبيخٌ لهم واستهزاءٌ بحُكمهم الباطل، وإلاّ فإنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن أن يكون له ولد (ذكراً كان أو أنثى)، لأنه رَبُّ كل شيء ومَالِكُه والغني عنه، فما الحاجةُ إذاً إلى الولد؟!)، (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) يعني: وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى التي نَسَبَها كذباً للرحمن: (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) أي مُتغيِّراً بالسَواد مِن هذه البُشرَى (وَهُوَ كَظِيمٌ) أي مُمتلِىء بالحزن والغم، (فكيف يَرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟! تعالى الله وتقدَّس عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا)، (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ): يعني أتجترئون وتنسبون إلى الله تعالى مَن يُرَبَّى في الزينة؟! (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) يعني: وهو في الجدال غير مُبَيِّن لحُجّته (بسبب الضعف والأنوثة التي خلقها الله فيها).

– الآية ١٩: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ)؟! يعني: هل حَضَروا وقتَ خَلْقهم حتى يحكموا بأنهم إناث؟! (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) الكاذبة (وَيُسْأَلُونَ) عنها في الآخرة، ثم يُعاقَبون عليها في نار جهنم.

– الآية ٢٠، والآية ٢١، والآية ٢٢: (وَقَالُوا) أي قال هؤلاء المُشركون الذين عبدوا الملائكة: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) (وهذه حُجَّة باطلة، لأن الله تعالى قد أقام الحُجَّة على العباد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتُب)، و(مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ): أي ليس لهم عِلمٌ بأنّ الله قد شاء لهم الشِرك ورضيه منهم! (إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ): أي ما هم إلا يكذبون (لأنه لا علم عندهم من الله بذلك ولا برهان)، (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ): يعني أم أعطيناهم كتابًا من قبل القرآن الذي أنزلناه (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) أي يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟! (بَلْ) يعني إنهم لا حُجَّة لهم إلا التقليد الأعمى لآبائهم، إذ (قَالُوا): (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) يعني على طريقة ومذهب ودين، (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) أي مُتَّبِعونَ لهم فيما كانوا عليه.

♦ واعلم أنهم قالوا لفظ "الرحمن" على سبيل الاستهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، (أي الذي تزعم يا محمد أنه الرحمن)، لأنهم لم يكونوا معترفين بهذا الاسم، كما قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)، وهذا مِثل قول فرعون وهو يتحدث عن موسى: (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)، فوَصَفه فرعون بأنه "رسول" على سبيل الاستهزاء، لأنه لم يكن مُعترفاً برسالته.

– الآية ٢٣، والآية ٢٤، والآية ٢٥: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) – أيها الرسول – (فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) – يُنذرهم عقاب ربهم إذا أشركوا به وعصوه – (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) وهم المُنَعَّمونَ المتكبرون من الرؤساء والكُبَراء: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) أي وجدناهم على طريقة ومذهب ودين (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ) يعني على منهاجهم وطريقتهم (مُقْتَدُونَ)، ف (قَالَ) محمد صلى الله عليه وسلم ومَن سَبَقه من الرُسُل – لمن عارَضوهم بهذه الشُبهة الباطلة –: (أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ): يعني أتتبعون آباءكم حتى ولو جئتكم مِن عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق مما وجدتم عليه آباءكم؟، ف (قَالُوا) في عِناد: (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أي انتقمنا من هذه الأمم المكذبة بإنزال العقوبة بهم (خَسْفًا وغرقًا وغير ذلك)، (فَانْظُرْ) – أيها الرسول – (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) يعني كيف كانَ مصير تكذيبهم؟ (ألاَ فليحْذَر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، حتى لا يصيبهم مِثل ما أصابهم).

****

٢. الربع الثاني من سورة الزخرف

– من الآية ٢٦ إلى الآية ٢٩: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) أي اذكر أيها الرسول حين قال إبراهيمُ (لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) الذين كانوا يعبدون الأصنام – كما يعبدها قومك –: (إِنَّنِي بَرَاءٌ) أي بريءٌ (مِمَّا تَعْبُدُونَ) (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) يعني: لكنني أعبد الله الذي خلقني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ): أي سيُوَفِّقني لاتِّباع طريق الحق، الذي تحصل به سعادتي في الدنيا والآخرة (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ): أي جعل إبراهيمُ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في في ذريته، حيثُ وَصّاهم بالاستمساك بها، كما قال تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ) أي وَصَّاهم بكلمة التوحيد (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى توحيد ربهم وطاعته كلما ذُكِّروا بـ "لا إله إلا الله".

♦ ولكنْ لم يتحقق ما تمناه إبراهيم كاملاً، فإنّ هناك مَن لم يرجع إلى التوحيد من ذريته (ومنهم مُشركو مكة وآباءهم)، كما قال تعالى: (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ) أي مُشركي مكة، إذ مَتَّعهم الله بالحياة هُم (وَآبَاءَهُمْ) (فلم يعاجلهم بالعقوبة على شِركهم) (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ) أي القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) أي رسولٌ يُبَيِّن لهم ما يَحتاجونه من أمور دينهم ودُنياهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يَعرفون نَسَبَه وصِدقه وأمانته وأخلاقه.

– الآية ٣٠، والآية ٣١، والآية ٣٢: (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) من عند الله: (قَالُوا): (هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)، (واعلم أنهم عندما يقولون عن القرآن إنه سِحر، فإنهم في حقيقة الأمر يَعترفون بهزيمتهم في أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، فيَضطروا إلى اللجوء إلى هذا القول الباطل)، (وَقَالُوا): (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ): يعني هَلاَّ نُزِّل هذا القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين "مكة" أو "الطائف"، فرَدَّ الله عليهم بقوله: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ)؟! يعني أهُم يَقسمون النُبُوّة فيَضعونها حيث شاؤوا؟!، كيف ذلك، و(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني إذا كنا قد قسَمنا بينهم معيشتهم في الأرزاق، فكيف بالنُبُوّة وهي أعظم من الطعام والشراب والمال؟! فنحن أحق بها منهم، فنختار لها مَن نشاء، (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فجعلنا هذا غنيّاً وذاك فقيراً (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا): أي ليكون بعضهم مُسَخَّرًا لبعضٍ في المعاش، فيحتاج الغني إلى أن يخدمه الفقير في قضاء حوائجه، ويأخذ الفقير منه أجرة مقابل خدمته، إذ لو كانوا كلهم أغنياء لَمَا خَدَمَ أحدٌ أحداً ولَتعطلت الحياة، (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ) بإدخالهم الجنة – إذا تابوا إليه وأطاعوه – (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من مَتاع الدنيا الفاني.

– الآية ٣٣، والآية ٣٤، والآية ٣٥: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) يعني ولولا كَراهة أن يكون الناس كلهم جماعة واحدة على الكفر – افتتاناً بالمال –: (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا) (والسُقُف جمع سَقف)، فتكون (مِنْ فِضَّةٍ) (وذلك لهوان الدنيا على الله تعالى، فإنها لا تساوي عنده جناح بعوضة)، (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعني: ولَجعلنا لهم سلالم من فضة يصعدون عليها، (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) يعني: ولَجعلنا لبيوتهم أبوابًا من فضة (وَسُرُرًا) من فضة أيضاً (عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ) (والسُرُر جمع سرير)، (وَزُخْرُفًا) (والزخرف هو الذهب)، يعني: ولَجعلنا لبيوتهم سقفاً من ذهب أيضاً، (وكذلك الأبواب والمصاعد والسُرُر، نجعل بعضها من فضة وبعضها من ذهب، لتكون أجمل من الفضة وحدها) (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني: وما كل ذلك المذكور إلا متاع الدنيا القليل الزائل (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) يعني: وإنّ نعيم الآخرة مُدَّخَر عند ربك للمتقين (وهم الذين اتقوا الشِرك والمعاصي)، وإذا وقعوا في معصيةٍ أسرَعوا بالتوبة منها والندم على فِعلها (فنعيم الجنة خيرٌ لهؤلاء المتقين من مَتاع الدنيا الرخيص الزائل الذي يَفرح به المشركون).

- الآية ٣٦، والآية ٣٧، والآية ٣٨: (وَمَنْ يَعْشُ) يعني: ومن يُعْرِض (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) وهو القرآن (فلم يَخَفْ عقابه، ولم يَهتدِ بهُداه): (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا): أي نجعل له شيطانًا في الدنيا يُضِلّه (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ): أي سيكونُ مُلازماً له يَمنعه الحلال، ويَدفعه إلى الحرام (عقوبةً له على إعراضه عن ذِكر ربه)، (وَإِنَّهُمْ) أي الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أي يَصُدّون هؤلاء المُعرِضين عن طريق الحق (فيُزيِّنون لهم الضَلالة، ويُكرِّهون إليهم الإيمان والطاعة) (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) يعني: ويظن هؤلاء المُعرِضون أنهم على الحق والهدى (بسبب تحسين الشياطين لِما هم عليه من الضلال) (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) هذا المُعرِض للحساب والجزاء: (قَالَ) المُعرِض لقرينه يوم القيامة: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أي بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، (فَبِئْسَ الْقَرِينُ) أنت، حيثُ أضللتَني عن طريق الحق.

♦ ولَعَلَّ اللهَ تعالى عَبَّرَ عن المشرق والمغرب بالمَشرقين، من باب تغليب المشرق على المغرب في كلام الناس، كما يُقال: (الأبوان) والمقصود بهما الأب والأم.

- الآية ٣٩: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) - أيها المُعرِضونَ عن ذكر الله - (إِذْ ظَلَمْتُمْ) أي بعدما أشركتم في الدنيا (أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يعني: لن ينفعكم أنكم اليوم مشتركونَ أنتم وقرناؤكم في العذاب، فلن يخفف ذلك عنكم شيئاً (ولو تخفيفاً نفسياً)، فلكل واحدٍ نصيبه من العذاب، ولن يَنشغل إلا بحرارة جلده، وحر النار الذي يلفح وجهه، وليس له حينئذٍ إلا الندم والصراخ (نسأل الله العفو والعافية).

- الآية ٤٠: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ)؟ يعني أفأنت - أيها الرسول - تستطيع أن تُسمِع مَن أصَمَّه الله عن سماع الحق، بسبب إصراره وعناده؟!، (أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)؟ يعني أو هل تستطيع أن تهدي مَن أعمَى اللهُ قلبه عن رؤية طريق الهدى، ومَن هو في ضلالٍ واضح عن الحق؟! لا تستطيع ذلك، فإنما عليك البلاغ، واللهُ تعالى يَهدي مَن يشاء، ويضلُّ مَن يشاء (وفق عدله وحكمته).

- الآية ٤١، والآية ٤٢: (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ): يعني فإنْ توفيناك أيها الرسول قبل أن ننصرك على هؤلاء المُكَذِّبين: (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) في الآخرة، (أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) من العذاب النازل بهم كيَوم "بدر" (فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ).

- الآية ٤٣: (فَاسْتَمْسِكْ) أيها الرسول (بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) من القرآن - سواء عَجَّلنا لهم العقوبة أو أخَّرناها عنهم - فاعمل بما يأمرك به القرآن، واجتنب ما يَنهاكَ عنه، وتَخَلَّق بآدابه، (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي على طريقٍ مستقيم لا انحرافَ فيه، وهو الإسلام.

- الآية ٤٤: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) يعني: وإنّ هذا القرآن لَشَرَفٌ لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزله الله بلُغتهم (والناسُ محتاجون إلى معرفة لُغتهم، ليعرفوا ما طُلِبَ منهم من عقائد وعبادات وآداب)، فإذا كان أهل قريش أفهَم الناس

للقرآن، فإنه يجب عليهم أن يكونوا أول الناس إيماناً به وأكثرهم عملاً بهُداه (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) عن شُكر تلك النعمة – وهي القرآن – وعن العمل بها وإبلاغها للناس.

– الآية ٤٥: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) أي اسأل أيها الرسول أتْباع مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رُسُلنا (وهم علماء أهل الكتاب الصادقون)، لأنّ سؤالهم يعتبر سؤالاً لرُسُلهم (لأنهم يحملون شرائعهم)، فاسألهم سؤالَ تقرير: (أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ): يعني هل جاءت رُسُلهم بعبادة غير الله تعالى؟!، فإنهم سيُخبرونك أنّ ذلك لم يحدث؛ فإنّ جميع الرُسُل قد دَعَوْا أقوامهم إلى ما دعوتَ الناس إليه، مِن عبادة الله وحده لا شريك له، ونهَوْا عن عبادة غيره مِن سائر خَلقه.

– الآية ٤٦، والآية ٤٧، والآية ٤٨: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا) الدالّة على أنه رسولٌ من عند اللهِ تعالى، وهي الآيات التسع التي أعطاها اللهُ له (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) وهم أشرافُ قومه (كما أرسلناك أيها الرسول إلى هؤلاء المُشرِكين من قومك)، (فَقَالَ) لهم موسى: (إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) استهزاءً وسُخرية، (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) أي بأنواع العذاب (كالجراد والقُمَّل والضفادع والطوفان وغير ذلك) (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن كُفرهم وعِصيانهم إلى توحيد الله وطاعته.

– الآية ٤٩، والآية ٥٠: (وَقَالُوا) أي قال فرعون ومَلَؤه لموسى: (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ): يعني يا أيها العالِم (وكان الساحر فيهم عظيمًا يُوَقِّرونه، ولم يكن السحر صفة ذم عندهم)، فقالوا لموسى: (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) أي بما عَلَّمَك من وسائل إجابة الدعاء، وادْعُهُ بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة، فإنْ كَشَفَ عنا العذاب، فـ (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنونَ بما جئتَنا به، (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ) – بعد أن دعانا موسى برفعه عنهم –: (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) أي يَنقضونَ عهودهم، ويُصِرُّون على كُفرهم وضلالهم.

– من الآية ٥١ إلى الآية ٥٤: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) مُفتخرًا، فـ (قَالَ) لهم: (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)؟ (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أي فروع النيل الأربعة تجري مِن تحت قصوري؟ (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتي وقوتي؟ (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ): يعني بل أنا خير من موسى الذي لا مُلكَ له ولا عِزّ، لضعفه وحقارته، (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) أي لا يكاد يُظهِر الكلام لمَرَضٍ في لسانه، (فَلَوْلَا) يعني: فهَلاّ (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) من السماء (أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) – كالتي يلبسها الملوك – إنْ كانَ حقاً رسول رب العالمين، (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) أي يَتْبَع بعضهم بعضاً ليشهدوا له بصدق رسالته، (وقد قال فرعون ذلك دفعاً لذُلّ الهزيمة التي أصابته بعد انتصار موسى على السَحَرة)، (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ): أي اسْتَخَفَّ عقول قومه، فدعاهم إلى الضلالة (فَأَطَاعُوهُ) وكذَّبوا موسى، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) أي كانوا قومًا خارجينَ عن طاعة الله.

– الآية ٥٥، والآية ٥٦: (فَلَمَّا آسَفُونَا) يعني: فلمَّا أغضبونا – بتكذيبهم لموسى وما جاء به من الآيات الواضحة – (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) أي يَسبقون مَن يعمل مِثلهم إلى العذاب، (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) يعني: وجعلناهم عبرة وعظة للآخرين حتى لا يتجرأوا على أن يفعلوا مِثلهم، (وأول مَن يَعتبر بهم قريش، التي نزل القرآن بلُغتها لتنبيهها مِن غفلتها).

٣. الربع الأخير من سورة الزخرف

- الآية ٥٧: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) يعني: ولمّا جَعَلَ المُشرِكون عيسى ابن مريم مَثَلاً - حين جادلوا محمدا صلى الله عليه وسلم بشأن آلهتهم، واحتجوا بعبادة النصارى لعيسى - (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ): يعني إذا بقومك مِن أجل ذلك يَرتفع لهم ضجيجٌ فرحًا وسرورًا، وذلك عندما نزل قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)، فقال المُشرِكون: (إنْ كانَ ما يقوله محمدٌ حقاً بأننا وآلهتنا في جهنم، فإن الملائكة معنا في جهنم لأننا نعبدهم، وعيسى في جهنم لأن النصارى عبدوه)، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)، فبذلك وَضَّحَ لهم سبحانه أنّ الذي يُلْقى في النار - من آلهة المُشرِكين - هو مَن رَضِيَ بعبادتهم له، أما عيسى عليه السلام فلم يكُن راضياً عن عبادة النصارة له، (واعلم أنّ الفِعل يَصِدُّون - بكسر الصاد - هو الضجيج وارتفاع الصوت، وأما الفِعل يَصُدُّون - بضَم الصاد - فهو المَنع).

- الآية ٥٨، والآية ٥٩: (وَقَالُوا) أي قال مُشرِكو مكة: (أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ)؟ يعني: (هل آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم عيسى الذي يعبده قومه؟، فإذا كان عيسى في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه)، فقال الله لرسوله: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا): يعني ما ضربوا لك هذا المَثَل طلباً للحق، ولكنهم أرادوا به الجدال بالباطل، (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) أي يُكثرون الجدال بالباطل ليدفعوا به الحق، (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ): يعني ما عيسى ابن مريم إلا عبدٌ أنعمنا عليه بالنُبُوّة (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ): أي جعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدَلّ بها على قدرة الله تعالى، لأنه سبحانه خَلَقه من غير أب.

- الآية ٦٠: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) أي لَجعلنا بدلاً منكم (مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ) أي يَخْلُفونكم فيها بعد إهلاككم، ليَعبدوا الله وحده ولا يُشرِكوا به.

- الآية ٦١، والآية ٦٢: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) يعني: وإنّ نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لَدليلٌ على قُرْبِ وقوع الساعة، (إذ جاء في قراءةٍ أخرى: (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ)، أي علامة على قرب مَجيئ الساعة) (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا): أي لا تشُكُّوا أنها واقعة لا مَحالة (وَاتَّبِعُونِ) فيما أُخبِركم به عن الله تعالى، (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ): يعني هذا هو الطريق المستقيم المُوصل إلى الجنة، (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) بوساوسه، ليمنعكم عن طاعتي، (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أي عداوته ظاهرة لكم يا بني آدم.

- الآية ٦٣، والآية ٦٤: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ): أي عندما جاء عيسى لبني إسرائيل بالآيات الواضحة (قَالَ) لهم: (قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ): أي جئتكم بالنُبُوّة (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أمور الدين، (فَاتَّقُوا اللَّهَ) أي امتثلوا أوامر الله تعالى (وأوّلها عبادته وحده)، واجتنبوا نَواهيه (وأوّلها الشِرك به)، (وَأَطِيعُونِ) فيما أدعوكم إليه، (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ): يعني إنّ الله - الذي أدعوكم إليه - هو ربي وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به، فأنا وأنتم سواءٌ في

العُبودية والخضوع للهِ تبارك وتعالى، (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يعني هذا هو الطريق الصحيح الذي لا انحرافَ فيه، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل غيره.

- الآية ٦٥: (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ): أي اختلفتْ الفِرَق - مِن أهل الكتاب - في أمْر عيسى عليه السلام، فمنهم مَن جاوَزَهُ قدْرَهُ (كالنصارى)، حيث قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة - تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ عُلُواً كبيراً -، ومنهم مَن كَفَرَ برسالته (كاليهود) حيث قالوا: ساحر، وقالوا: ابن يوسف النجار، واتَّهموا أمّه كذباً بالزنا، (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) يعني: فهلاكٌ ودمار وعذابٌ أليم يوم القيامة، لمن وَصَفوا عيسى بغير ما وَصَفه الله به.

- الآية ٦٦: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ): يعني هل يَنتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى إلا الساعة التي تقوم فيها القيامة (أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) أي فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (وحينئذٍ سيؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، حينَ لا ينفعهم الإيمان!).

- من الآية ٦٧ إلى الآية ٧٣: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) يعني: الأصدقاء المتعاونين على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة (إِلَّا الْمُتَّقِينَ) الذين تعاونوا على طاعة الله وترْك معاصيه، فإن مَحَبّتهم تدوم في الآخرة، لأنها كانت مِن أجل الله تعالى (وما كان للهِ تعالى دامَ واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

♦ ويقول الله لهؤلاء المتقين يوم القيامة: (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) مِن عقابي، (وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) على ما فاتكم مِن حظوظ الدنيا، ثم وَصَفَ الله هؤلاء المتقين بقوله: (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا) وعَمِلوا بما جاءتهم به رُسُلهم (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ): أي كانوا مُنقادينَ لله ربِّ العالمين بقلوبهم وجوارحهم، ويُقال لهم: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ) يعني أنتم وزوجاتكم المؤمنات (تُحْبَرُونَ) أي تَفرحون وتُسَرُّون، (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ): أي يدور عليهم الخَدَم بالطعام الذي يشتهونه في أوانٍ مِن ذهب، وبالشراب في أكوابٍ من ذهب، (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) مِن سائر المُستلَذّات والمُتَع والشهوات، (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) أي فيها كل ما تتلذذ العيون برؤيته وتفرح بالنظر إليه، (وَأَنْتُمْ فِيهَا) أيها المؤمنون (خَالِدُونَ) لا تخرجون منها ولا تموتون (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي بسبب أعمالكم الصالحة - التي كانت سبباً في دخولكم الجنة برحمة ربكم - (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)، (ولَعَلّ الله تعالى قد ذَكَرَ الفاكهة - بعد ذِكر الطعام والشراب - لبيان اكتمال نعيمهم ولذّتهم بعد الأكل والشُرب).

- من الآية ٧٤ إلى الآية ٧٨: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) الذين أجرَموا على أنفسهم بالشِرك والمعاصي (فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ): أي لا يُخفف عنهم عذابها (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ): أي يائسونَ من الخَلاص من ذلك العذاب، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) إذ ظلموا أنفسهم بشِركهم وجحودهم بأن الله هو الإله الحق المُستَحِقّ وحده للعبادة، (وَنَادَوْا) على "مالك" خازن جهنم - وهم في النار -: (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) حتى نموت ونستريح مِمّا نحن فيه من العذاب والكَرب، فـ (قَالَ) لهم مالكٌ: (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) لا خروج لكم منها، (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ) أي وَصَّلنا لكم - نحن مَعشر الملائكة - الحق الذي أمَرَنا الله بتوصيله إليكم (والمقصود هنا جبريل عليه السلام ومَن معه مِن حَفَظَة الوحي)، إذ نَزَلوا بالحق على الرُسُل (بإذن الله لهم) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) لأنه لا يوافق أهوائكم وشهواتكم.

♦ ولَعَلّ الله تعالى قال: (أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)، ولم يقل: (كلكم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) لأنّ الذين كرهوا الحق هم الرؤساء (حفاظاً على مناصبهم)، وأما الأتْباع فلم يكرهوا الحق، ولكنهم اتَّبعوا الرؤساء، فماتوا على الشِرك والكفر فدخلوا النار معهم.

♦ واعلم أنّ مالك هو "رئيس" خَزَنة النار، إذ له أعوان من الملائكة مُوَكَّلون بالتعذيب في النار، لأن الله تعالى قال: (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ).

– الآية ٧٩، والآية ٨٠: (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا): يعني بل دَبَّرَ هؤلاء المُشرِكون أمرًا ليصدوا به الناس عن الحق (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ): يعني فإنا أيضاً مُدبِّرونَ لهم ما يناسبهم من العذاب، ومُدبِّرونَ لهم ما يُبطل كَيدهم، (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ) أي ما يُسِرُّونه ويكتمونه في أنفسهم من الكَيد وغيره (وَنَجْوَاهُمْ) أي ما يَتناجون به ويتحدثونه فيما بينهم؟! (بَلَى) نسمع ونعلم، (وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) أي: ورُسُلنا الملائكة الكِرام الحَفَظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.

– الآية ٨١، والآية ٨٢، والآية ٨٣: (قُلْ) أيها الرسول لمُشرِكي قومك – الزاعمينَ أن الملائكة بنات الله –: (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) كما تزعمون (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) لهذا الولد الذي تزعمونه، تعظيما لله وإجلالاً (لأن تعظيم الولد من تعظيم الوالد)، ولكنْ هذا لم يكن ولا يكون، لأنّ الكُلُّ مِلكُهُ وعَبيدُه، وهم خاضعونَ له، مُسَخَّرونَ تحتَ تدبيره، وهو الغني عنهم، فكيف يكونُ له منهم ولد؟!، فلذلك لن أعبد غير الله تعالى، (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) أي تَنَزَّهَ سبحانه وتبَرَّأ من الكذب والافتراء الذي يَصفه به المُشرِكون، ثم قال الله لرسوله – مُهَدِّداً لهم –: (فَذَرْهُمْ): أي اترك هؤلاء المفترين على الله (يَخُوضُوا) في باطلهم، (وَيَلْعَبُوا) في دُنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أي الذي يُوعدون فيه بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا.

– الآية ٨٤: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ): أي هو سبحانه المعبود بحق في السماء وفي الأرض، (وَهُوَ الْحَكِيمُ) الذي أحكَمَ خَلْقَه، وأتقن شرعه، (الْعَلِيمُ) بكل شيء من أحوال خلقه وما يحتاجونه، فلِذا وجبتْ عبادته وحده.

– الآية ٨٥: (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ): أي كَثُرَتْ خيرات الله تعالى، وعَظُم ملكه، فهو وحده الذي له مُلك السماوات والأرض (وَمَا بَيْنَهُمَا) من الأشياء كلها، (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) التي تقوم فيها القيامة (إذ هو وحده الذي يعلم وقت مجيئها)، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أيها الناس بعد مماتكم، فيجازي كُلاً بما يَستحق.

– الآية ٨٦: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ): أي لا تملك الملائكة – التي يعبدها المُشرِكون – أن تشفع لأحد عند الله تعالى (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) يعني إلا لمَن أقر بتوحيد الله ونُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء هم الذين يَستحقون الشفاعة، فيشفعون لبعضهم، وتَشفع لهم الملائكة والأنبياء بعد أن يأذن الله لهم (هذا إذا دخلوا النار بذنوبهم حتى يخرجوا منها)، ففي الحديث الصحيح أنّ اللهَ تعالى يقول يوم القيامة: (أخرِجوا من النار مَن قال لا إله إلا الله، وكانَ في قلبه مِن الخير ما يَزِن ذَرَّة) (انظر صحيح الترمذي ج ٤/٧١١)، (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي يعلمون يقيناً حقيقة ما شَهِدوا به، ويفهمون معنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود بحقٍ إلا الله، لأنه لا يَستحق العبادة غيره.

- الآية ٨٧: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعني: وإنْ سألتَ - أيها الرسول - هؤلاء المُشرِكين (مَنْ) الذي (خَلَقَهُمْ)؟ (لَيَقُولُنَّ): (اللَّهُ) هو الذي خلقنا، (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)؟ يعني فكيف يَنصرفون عن عبادة خالقهم، ويعبدون ما لا يَخلق شيئاً، بل هم مخلوقون؟!

- الآية ٨٨، والآية ٨٩: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ) يعني: وقد عَلِمَ اللهُ قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذَّبوه: يا رب (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) (بل هم مُعانِدونَ مُستكبرون).

♦ واعلم أن الـ (قِيل) هو بمعنى القول، ولَعَلّ قوله تعالى: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ) معطوف على قوله تعالى: (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي عنده سبحانه عِلم قيام الساعة، ويعلم أيضاً قول رسوله محمد وشكواه مِن قومه (لطُول ما دعاهم وهم مُعرِضون عن الحق مُصِرّون على الكفر).

♦ ثم أمَرَ الله رسوله أن يتجاوز عما يلقاه منهم مِن تكذيبٍ وإيذاء، فقال له: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) يعني أعرِض عنهم وتجاوز عن أذاهم، (وَقُلْ سَلَامٌ): أي لا يَصدُر منك لهم إلا السلام الذي يقوله العقلاء للجاهلين، حتى لا تُعامِلهم بمثل أعمالهم السيئة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) ما يلقَوْنه من العذاب والعقوبة.

****